

501 | تعليق على فتح المجيد شرح كتاب التوحيد | الشيخ عبد

الرزاق البدر

عبدالرزاق البدر

الحمد لله رب العالمين صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين اجمعين اما بعد فيقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى باب لا يستشفع بالله على خلقه عن جبير ابن مطعم رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله نهكت انفس وجاع العيال وهلكت الاموال فاستسقي لنا ربك فاننا نستشفع بالله عليك وبك على الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه ثم قال ويحك اتدري ما الله؟ ان شأن الله اعظم من ذلك؟ انه لا يستشفع بالله على احد. وذكر الحديث رواه ابو داود قوله باب لا يستشفع بالله على خلقه وذكر الحديث وسياق ابي داود في سننه اتم مما ذكره المصنف رحمه الله ولفظه عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه عن جده قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم اعرابي فقال يا رسول الله جهدت الانفس وضاعت العيال ونهكت الاموال وهلكت الانعام فاستسقي الله لنا فاننا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك اتدري ما قول وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه ثم قال ويحك انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه. شأن الله اعظم من ذلك. ويحك اتدري ما الله؟ ان عرشه على سماواته لهكذا وقال باصبعه مثل القبة عليه وانه ليئط به اطيط الرحل بالراكب قال ابن بشار في حديثه ان الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته. قال الحافظ الذهبي رواه ابو داود اسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد ابن اسحاق ابن يسار. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى اله واصحابه اجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما واصح لنا شأننا كله ولا تكلنا الى انفسنا طرفة عين. اما بعد هذه الترجمة باب لا يستشفع بالله على خلقه. هي نظير الترجمة التي قبلها في النهي عن وسام على الله او ما جاء في الاقسام على الله تبارك وتعالى. من حيث ان كلا من الامرين الاقسام على الله والاستشفاع بالله على خلقه فيه هضم الربوبية وتنقص شأن رب العالمين سبحانه وتعالى. وسوء ادب مع اه وهو قول ينزه الرب تبارك وتعالى عنه. ولهذا لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم القائل يقول انا نستشفع بالله عليك سبح الله عليه الصلاة والسلام ولا زال يسبح الله ويكرر التسبيح حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه اي غضب النبي صلى الله عليه وسلم من هذه المقالة فهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك وقال انه لا يستشفع بالله على احد لانه انما يشفع عند من هو اعلى منه. فمن هو هذا الذي يشفع عنده رب العالمين؟ سبحان الله عما يقولون. الحاصل ان هذا امر ينزه الرب تبارك وتعالى عنه ويجل عن ذلك. وهم مما يتنافى مع التوحيد الواجب. ولهذا عقد المصنف رحمه الله تعالى هذه الترجمة تحذيرا من ذلك نعم. قال رحمه الله تعالى قوله ويحك انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه فانه تعالى رب كل شئ ومليكه والخير كله بيده لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى وما كان الله ليعجزه من شئ في السماوات ولا في الارض انه كان عليما قديرا اي انه لا يستشفع. بالله على احد من خلقه فشأنه اجل من ذلك وامره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون. فيطلب منه. يطلب منه المحتاج حاجته ويتجه اليه مباشرة بالسؤال فالامر بيده والعباد كلهم طوع تدييره وتسخيره سبحانه وتعالى. فلا يستشفع بالله على احد من خلقه. وانما يطلب من الله ويدعى سبحانه وتعالى ويلتجى اليه بالسؤال والطلب فان الامر وبيده جل وعا يعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويقبض ويبسط ويحيي ويميت ويعز ويذل الامر بيده في علاه فلا يستشفع به على احد من خلقه وانما يسأل مباشرة ويطلب منه ويتوجه اليه بالدعاء والسؤال والرغبة في مطالب المرء الدينية والدينية والاخروية. نعم. قال رحمه الله تعالى فانه تعالى رب كل شئ ومليكه والخير كله بيده لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى وما كان الله ليعجزه من في السماوات ولا

في الارض انه كان عليما قديرا. انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والخلق وما في ايديهم ملكه يتصرف فيه كيف يشاء وهو الذي يشفع الشافع اليه ولهذا انكر على الاعرابي قوله هذا وسبح وسبح الله كثيرا وعظمه لان هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وبحمده

ان شأن الله اعظم من ذلك؟ نعم. الاعرابي مر معنا انه قال كلمتين في مقام الاستشفاء. قال فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله فاننا نستشفع بالله عليك وبك على الله. والنبى صلى الله عليه وسلم انكر وعلى الاعرابي هذا اي انكر عليه قوله نستشفع بالله عليك. ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم قوله وبك على الله ولم ينكر عليه قوله وبك على الله وانما انكر عليه قوله نستشفع بالله عليك لان مقام الله اجل من ذلك ان يستشفع به على احد من خلقه ولهذا نزه نبينا عليه الصلاة والسلام رب العالمين عن ذلك واخذ يكرر التسبيح والتسبيح تنزيه لله عن ما لا يليق بجلاله

وكماله. اما قول الاعرابي وبك على الله وبك على الله لم ينكره عليه. صلوات الله وسلامه عليه لان المراد استجلاب دعاء النبي عليه الصلاة والسلام وهذا صحيح. كانوا يستجلبون من الدعاء ويطلبون منه ان يدعوا ادعوا الله ان ان يسقينا ادعوا الله ان يغيثنا هذا المقصود بقوله وبك على الله اي وبك على الله ان تشفع لنا عند الله بان ينزل الغيث وهذا صحيح. الاستشفاع

آآ الحي الحاضر بمعنى ان يطلب منه الدعاء هذا امر لا حرج فيه الحي الصالح الحاضر ان يطلب من الدعاء ادعوا الله لنا ادعوا الله للمسلمين او يقدم في الصلاة صلاة الاستسقاء مثل تقديم عمر بن الخطاب للعباس قم يا العباس فادعوا الله لنا هذا امر لا بأس به. ولهذا لم ينكر عليه لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الاعرابي قوله وبك على الله وبك على الله. وانما انكر عليه قوله نستشفع بالله عليك. لان مقام الله وتعالى اجل من ذلك. وجاء الحديث في سياق اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ها انا اشفع الى ربي ها انا اشفع الى ربي فمن الذي يشفع ربنا اليه؟ لا اله الا الله

فمن الذي يشفع ربنا اليه؟ لا اله الا الله العظيم. فقولها انا اشفع الى ربي اي ادعو الله. اشفع ربي اي ادعو الله ان يغيثنا وان يغيث المسلمين فهذا امر لم ينكره صلوات الله وسلامه عليه بل اذا طلبوا منه الشفاعة التي هي الدعاء يدعو الله. يدعو الله سبحانه وتعالى وقصة الاعرابي الذي دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ويخطب الجمعة وسؤاله من النبي عليه الصلاة والسلام ان يدعو الله ان يغيثنا وما كان في السماء من قزعة ما كان فيها

فاخذ يدعو عليه الصلاة والسلام ويلح على الله بالدعاء ما خرج عليه الصلاة والسلام من المسجد الا والامطار تنزل حتى امطروا سبتا كاملا اسبوعا كاملا فكان يدعو الله صلوات الله وسلامه عليه لهم ولهذا قال كما في الرواية التي اشترت اليها قالها انا اشفعي الى ربي فمن الذي يشفع؟ الله اليه. اي هذا امر نزه الله عنه. مقام الله اجل واعظم من ان يستشفع به على احد من خلقه. نعم. قال رحمه الله

الا وفي هذا الحديث اثبات علو الله على خلقه. وان عرشه فوق سماواته وفيه تفسير الاستواء بالعلو كما فسره الصحابة والتابعون والائمة خلافا للمعتلة من الجهمية والمعتزلة ومن اخذ عنهم كالأشاعرة ونحوهم ممن الحد في اسماء الله تعالى وصفاته وصرافها عن المعنى الذي وضعت له ودلت عليه من اثبات صفات الله تعالى التي دلت على كماله جل وعلا حكم عليه السلف الصالح والائمة ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة. فانهم اثبتوا ما اثبتته الله لنفسه واثبتته له رسوله من صفات كماله على ما يليق بجلاله وعظمته اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل. نعم الا على العلو علو الله تبارك وتعالى على خلقه في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا حتى قال الامام ابن القيم رحمة الله عليه في نونيته يا قومنا والله ان لقولنا الفا تدل عليه بل الفان. اشارة الى كثرة ان النصوص الادلة في الكتاب والسنة على علو الله تبارك وتعالى. فالادلة على العلو كثيرة وكما انه قد دل على ثبوته النقل فقد دل عليه العقل. والفطرة والاجماع ومن لم يثبت علو الله على خلقه فليس امامه الا احدى عقيدتين. كل منهما افسد من الاخرى. واشد شناعة من الاخرى. من لا علو الله تبارك وتعالى ليس امامه ان انكر علو الله الا احدى عقيدتين اما ان يعتقد ان الله في كل مكان الله عما يصفون اما ان يعتقد ان الله في كل مكان وتتناول هذه الكلمة كل مكان حتى الاماكن القذرة والنجسة تعالى الله عما يقولون ان الله عما يصفون او يعتقد عقيدة مضادة لذلك وهي عقيدة النفي لا فوق ولا تحت ولا العالم ولا خارجه الى اخر ما يقوله الظلال. فالذي لا يثبت علو الله لا مناص له الا احدى هاتين العقيدتين الظالتين والعلو ثابت لله في كتابه. وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وربنا جل وعلا مستو على

عرشه المجيد استواء يليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه وتعالى نعم. قال رحمه الله تعالى قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في مفتاح دار السعادة بعد كلام سبق فيما يعرف العبد بعد

كلام سبق فيما يعرف العبد بنفسه وبربه من عجائب مخلوقاته. قال بعد ذلك والثاني ان يتجاوز هذا الى النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له ابواب السماء فيجول في اقطارها وملكوته وبين ملائكتها. البصيرة الباطنة اي التفكير والتأمل نعم. فتفتح له ابواب السماء فيجول في اقطارها وملكوته وبين ملائكتها ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب الى عرش الرحمن فينظر سعته وعظمته وجلاله

ورفعته ويرى السماوات السبع والارضين السبع بالنسبة اليه كحلقة ملقاة بارض فلاة. ويرى الملائكة حافين من حول العرش لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير والامر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها الا ربه ومليكه فينزل الامر باحياء قوم واماته آخرين واعزاز قوم واذلال آخرين وانشاء ملك وسلب ملك وتحويل نعمة من محل الى محل وقضاء الحاجات على اختلافها وتباينها وكثرتها من جبر كسير واغناء

فقير وشفاء مريض وتفريج كرب ومغفرة ذنب وكشف ضر ونصر ونصر مظلوم وهداية حيران وتعليم جاهل ورد ابق وامان خائف واجارة واجارة مستجير ومدد لضعيف واغاثة لمهلوف واعانة لعاجز وانتقام من ظالم

وكف لعدوان فهي مراسيم بين العدل والفضل والحكمة والرحمة دائرة فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة تنفذ في اخطار العوالم لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره

ولا ولا تغلظه نعم ولا تغلظه ولا تغلظه كثرة المسائل ويجعل اختلافها وتباينها واتحاد وقتها. ولا يتبرم بالحاح الملحِين ولا تنقص ذرة من خزائنه. لا اله الا هو العزيز الحكيم. فحين اذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقا لهيبته. خاشعا لعظمته عاني عزته فيسجد بين يدي الملك الحق المبين سجدة لا يرفع رأسه منها الى يوم المزيد. فهذا سفر القلب وهو في وطنه وداره ومحل ملكه وهذا من اعظم آيات الله من اعظم آيات الله وعجائب صنعه فيا له من سفر ما

تركه واروحه واعظم ثمرته وربحه واجل منفعته واحسن عاقبته. سفر هو حياة الارواح ومفتاح السعادة وغنيمة العقول والالباب لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب. انتهى كلامه رحمه الله تعالى. نعم

واما الاستشفاء بالرسول صلى الله عليه وسلم في حياته فالمراد به استجلاب دعائه وليس خاصا به صلى الله عليه وسلم بل كل لحي صالح يرجى ان يستجاب له. فلا بأس ان يطلب منه ان يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر لما اراد ان يعتمر من المدينة لا تنسانا يا اخي من صالح دعائك. نعم ولهذا ايضا الاعرابي في حديث الترجمة لما قال وبك على الله لم ينكر عليه ذلك. وانما انكر عليه صلى الله عليه وسلم قوله نستشفع بالله عليك. اما قوله وبك على الله لم ينكره. لان المراد بذلك استجلاب دعائه اي طلب منه ان يدعو الله تبارك وتعالى ان يغيثهم وهذا صحيح. وايضا ليس خاصا بالنبي عليه الصلاة

بل حتى الرجل الصالح المعروف بديانته واستقامته ان يقال له ادعوا الله لنا او ادعوا الله مستميين او ادعوا الله لاخوانك المسلمين او نحو ذلك. هذا امر لا بأس به نعم. قال رحمه الله تعالى واما

ميتوا فان فأنما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته وعلى الميت يشرع الدعاء له لا ان يدعى يدعى له اي بالمغفرة والرحمة وبحاجة ان يدعى له. اما ان يدعى فهذا امر لا يملكها

الميت لا لنفسه ولا لغيره. وهو من اللجوء الى غير الله تبارك وتعالى وهو من الشرك الناقل من الملة نعم. قال رحمه الله تعالى واما الميت فأنما يشرع فأنما يشرع في حقه الدعاء

له على جنازته وعلى قبره وفي غير ذلك. وهذا هو الذي يشرع في حق الميت. واما دعاؤه فلم يشرع. بل قد دل الكتاب والسنة من لا يفهم ذلك يذهب للمقابر لا يدعوا للموتى. لا يدعوا للموتى وانما يدعوا

من دون الله ويسألهم من دون الله وهذا الشرك الاكبر الناقل من الملة. فلا ينتفع الحي ولا ينتفع الميت. اما الزيارة الشرعية التي هي الدعاء للميت ينتفع فيها الحي والميت

ينتفع الميت بدعاء الاحياء له بالرحمة والمغفرة. والحي ينتفع بالاعتبار والادكار. زوروا القبور فانها تذكركم الاخرة اما اذا ذهب ليدعو الموت من دون الله فان الميت لا ينتفع بمجيئه بل

ان كانت صالحا فانه يبرأ من صنيعه ويكفر بعمله اما الحي فانه لا ينتفع بل يتضرر بتوجه لغير الله تبارك وتعالى؟ نعم. قال رحمه الله تعالى بل قد دل الكتاب والسنة على

نهي عنه والوعيد عليه كما قال تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمع دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير. فبين تعالى ان دعاء

من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة. اي ينكره ويعادي من فعله. كما قولها شرك يكفر به المدعو اخذا من الاية يكفرون بشرككم يكفرون بشرككم يكفر هؤلاء المدعوون من الموتى بشرككم اي باتخاذكم لهم شركاء

مع الله. لان الدعاء عبادة والعبادة حق لله. فمن دعا الموتى فقد اتخذ الموتى شركا مع الله. في حق من حقوق لا فالدعاء عبادة ولا يدعى الا الله. ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين. نعم قال رحمه الله تعالى فبين تعالى ان دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة

ياما ان ينكره ويعادي من فعله كما في اية الاحقاف. واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين فكل ميت او غائب لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفذ ولا يضر. والصحابة رضي الله عنهم لا سيما اهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين لم ينقل عن احد منهم ولا عن غيرهم انهم انزلوا حاجاتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته حتى في اوقات حتى في اوقات الجذب كما وقع لعمر رضي الله عنه لما خرج ليستسقي بالناس خرج بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يستسقي لانه حي حاطر يدعو ربه فلو جاز ان يستسقي باحد بعد وفاته لاستسقى عمر رضي الله عنه في السابقين الاولين بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال رضي الله عنه اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا والان نتوسل اليك بعم نبينا ثم طلب من العباس ان يتقدم لا الصلاة الاستسقاء والدعاء وهذا الامر جائز. هذا الامر جائز يعني ان يطلب من الحي الصالح الحاضر مستقيم على طاعة الله ان يطلب منه ان يدعو للمسلمين تفريج الكرب نزول بالغيث ويقدم لصاحبه واستقامته وديانته هذا امر لا حرج فيه. اما ان يتوجه الى الموتى فهذا امر هو من جهة شرك بالله ناقل من الملة ومن جهة اخرى يكفر به هؤلاء الموتى الصالحين يوم القيامة ويتبرأون من ممن ويعادونه فلا ينتفع الحي بذلك بل يتضرر ولا ينتفع ايضا الميت بخلاف ما قدمته الزيارة الشرعية فانها تنفع الحي وتنفع الميت نعم. قال رحمه الله تعالى وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت. لان المقصود من الحية لان المقصود من الحي دعاؤه دعاؤه اذا كان اذا كان حاضرا المقصود من الحي دعاؤه اي ان يدعو. ان يدعو ادعو لنا فالمقصود من الحي دعاؤه ان يدعو لا لنفسه والمسلمين هذا هو المقصود. نعم. قال رحمه الله تعالى فانهم في الحقيقة انما الى الله بطلب دعاء من يدعو ويتضرع اليه وهم كذلك يدعون ربهم. فمن تعدى المشروع الى من قدموه يدعو وهم ايضا يشاركون يدعون واذا دعا امنوا والتأمين هو مشاركة في اه الدعاء مشاركة بالدعاء فهم كلهم يدعون الله ومتوجهون اليه لكن قدموا احدهم او خيرهم او افضلهم يدعو لهم ويؤمنون على دعائه. واذا دعا شخص وامن اخرون دعائه يعتبر الجميع داعون لله سبحانه وتعالى هذا بدعائه وهؤلاء تأمينهم على دعائهم استجيبت دعوتكما كان موسى يدعو وهارون يؤمن وسمي ذلك دعوة من من الاثنين الذي يدعو ومعه ناس يؤمنون كلهم في عداد من دعا الله سبحانه وتعالى هذا بدعائه وهذا بتأمينه. على الدعاء نعم. قال رحمه الله تعالى فمن تعدى المشروع الى ما لا يشرع ظل واضل. فلو كان دعاء الميت خيرا لكان اليه اسبق وعليه احرص وبهم اليق وبحقه اعلم واقوم. فمن تمسك بكتاب الله نجا ومن تركه واعتمد على عقله هلك وبالله التوفيق نعم وما ضل من ظل الا حيدته وانحرافه عن جادة السلف من الصحبة الكرام والتابعين لهم باحسان. والله تبارك وتعالى يقول والسابقون الاولون. من المهاجرين انصار والذين اتبعوهم باحسان. نسأل الله الكريم رب العرش العظيم باسمائه الحسنی وصفاته العلیا ان يوفقنا اجمعين لاتباع اعمهم باحسان وان يصلح لنا شأننا كله وان لا يكلنا الى انفسنا طرفة عين وان يهدينا اليه صراطا مستقيما اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وولادة امرنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات. اللهم ات نفوسنا تقواها وزكها انت خير من زكاها. انت وليها ومولاها. اللهم انا نسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد. ونسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك. ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ونسألك قلبا سليما ولسانا صادقا. ونسألك من خير ما تعلم ونعوذ بك من شر ما تعلم ونستغفرك لما تعلم انك انت علام الغيوب. اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك من طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا. اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا قوتنا ما احببتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا سبحانه اللهم وبحمدك اشهد اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك. اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد واله وصحبه جزاكم الله خيرا